الترجمة بين نص الوصول ونص الانطلاق

أ.دليلة خليفي/ جامعة الجزائر2

توطئة

عرفت الترجمة انتعاشا كبيرا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد أن أصبحت تستمد وسائلها من اللسانيات .فأدى التطور السريع الذي حدث في هذا الميدان إلى انعكاسه على الترجمة ،إذ حاول المترجمون التوسع في دراسة علم اللسان لفهم عملية الترجمة التي كانت قائمة على أساس المقارنة بين لغتين وتدريس اللغات الأجنبية.وأدى كل هذا إلى ظهور نظريات الترجمة التي تعددت وتنوعت حسب المدارس و الانتماءات .

وتعد الترجمة من الوسائل الأساسية التي تجسد حضارات الأمم لأنها تمثل عملا ثقافيا ولغويا،بواسطته تتمازج مختلف الأفكار والثقافات،وفي هذا الصدد يقول إدوارد البستاني:"الترجمة أهم سبيل إلى تمازج العبقريات المختلفة وتلاقي شرر النبوغ في العالم وهي الفجوة التي تنهمر فيها بحار العلوم بين الأمم لتغترف منها كل أمة ما يعوزها من أمة غيرها " 1 .

كما أن الترجمة أداة ووسيلة لتطوير اللّغة التي تمكن القارئ من استيعاب كل ما هو حديث ليواكب التقدم العلمي المتسارع.وإن التزايد المستمر لكل ما هو جديد هو الذي دفع المهتمين بالترجمة إلى البحث والتوسع في هذا الميدان .و يرى إيدمون كاري :"أننا نعيش في عصر الترجمة وأنّه لا يوجد مجال حيوي يمكنه الاستغناء عن الترجمة .فالمترجم هو المساعد اليومي للناشر ورجل الاقتصاد ،كما هو الحال بالنسبة للشاعر أو منظم المؤتمرات العالمية وكذا السينمائي أو مدير وكالات الأسفار أو الوكالات الصحفية فحضور المترجم في هذه الحالات ضروري ولا مفر منه.وقد أصبحت الترجمة مهنة لكنّها لم تفقد جانبها الفني .وأحسن مثال على ذلك تجسده الفيدرالية العالمية للمترجمين (FIT)المتواجدة في كندا «2.

ولم يكن الاهتمام الكبير والواسع بالترجمة والمترجم وليد الصدفة وإنما هو مطلب أساسي يمليه علينا الواقع الحالي الذي نعيشه حيث أصبح العالم الكبير عبارة عن قرية صغيرة تعيش في ظل نظام العولمة.

أما الغاية من الترجمة حسب (Gerardo Vazquez Ayora) جيراردو فازكيزأيور:"فهي إنتاج نص مكافئ عند الانتقال من لغة الانطلاق إلى لغة الوصول وليس هذا الأمر دائما بالهين "3.

ا ـ نص الانطلاق :

"إن أول ما يتبادر إلى ذهن المترجم عند مباشرة عملية الترجمة هو التساؤل التالي:"ماذا نترجم ولماذا؟"4

وإن هذا التساؤل ليطرح نفسه عندما يتبين أن أغلب النصوص المكتوبة في لغة ما لا تكون كلها محل الترجمة.وهنا يمكن أن نذكر الأعداد الهائلة من المقالات الصحفية والمجلات و الحوليات وكذا النصوص الأدبية والعلمية التي لم و لن تترجم أبدا.

ولكي نتمكن من الإجابة عن هذا السؤال المطروح لا بدَ أن نعالج ونصنّف كل نص حسب طبيعته.

1 - **النص الصحفي**:

يبدو من أوّل وهلة أن المقالات الصحفية المكتوبة هي أولى النصوص التي نقوم بإبعادها.وهذا يعود إلى كون أهم خاصية في المقالات الصحفية أنها عابرة وزائلة حيث يقول فاروق أبو زيد في هذا الصدد:" إنّ المقال الصحفي يعبر عن الأحداث اليومية الجارية وعن القضايا التي تشغل الرأي العام المحلي أو الدولي ،ويقوم بهذه الوظيفة من خلال شرح وتفسير الأحداث الجارية والتعليق عليها بما يكشف عن أبعادها ودلالاتها المختلفة " .5

وتتغير هذه المعلومات التي تنقلها المقالات الصحفية من أسبوع إلى أسبوع وفي بعض الأحيان من يوم إلى آخر.كما أنّه يتم تداولها في العالم كلّه في آن واحد ،أي في الوقت نفسه بفضل التطور التكنولوجي الذي عرفه عالم الاتصال وبفضل المراسلين الصحفيين المنتشرين في كلّ أنحاء العالم وبالتالي فإن كلّ دولة تلجأ إلى صياغة النبأ بلغتها الأم وعلى طريقتها الخاصة .

وبعد إبعاد المقالات الصحفية يبقى لدينا نوعان أساسيان وهما النص الأدبي أو الفني من جهة والنص العلمي التقني من جهة أخرى.

2 - النص العلمي التقني:

لا شك في أن أهم سبب يدفعنا إلى ترجمة النصوص العلمية والتقنية هو حاجة المجتمعات الملحَة إلى مواكبة التطوُر العلمي والتقني.وهنا يجب أن نشير إلى أن اللّغة الأكثر انتشارا بين المجتمع العلمي العالمي هي اللّغة الإنجليزية.لكن هذا الأمر لا يمنع من وجود أعمال قيمة تم نشرها باللغة الأموالتجارية. الأصلية مثل اليابان وروسيا، وبالتالي فهي تحتاج بدورها إلى الترجمة لكي يتم تداولها في العالم بأسره والانتفاع بما جاء فيها.و ترتبط ترجمة النصوص التقنية ارتباطا وثيقا بالحياة الاقتصادية والتجارية .

3 - النص الأدبي:

النص الأدبي هو نص يعبر عن عواطف كاتبه وتجربته الذاتية ومشاعره الوجدانية تجاه موقف خاص أو موقف عام.وهو يقوم على الصور البيانية والمحسنات اللفظية والتراكيب اللغوية المعقدة .كما

يتميز بطابعه الخاص و الموحد الراجع إلى اتحاد الجوهر و الشكل أما المعايير التي تقاس بها الأنماط اللّغوية الموظفة في الأدب فهي تتفاوت بتفاوت العصور و الأنواع الأدبية، كما أن اللّغة عامة تتغير باستمرار، ويتغير مفهومنا للأدب من عصر إلى عصر.

ويقول(Terry Eagleton) تيري إقليتون :"إن الأدب ذو ألوان متعددة وصور لا حصر لها و إبراز تعريف جامع مانع من المحال،ولذلك فنحن لا نستطيع حصر خصائص اللّغة التي يكتب بها النص الأدبي لأنها ليست لغة واحدة بل هي تتفاوت من نوع أدبي إلى نوع آخر ومن عصر اتخذ فيه هذا اللون شكلا معينا إلى عصر تغيّر فيه هذا الشكل،ولأن العمل الأدبي نفسه قد يتضمّن ألوانا مختلفة من المستويات اللغوية فقد نجد في مسرحية أو رواية أو قصة قصيرة إشارة أو تعبيرا دقيقا ،وقد نجد في مسرحية مشهدا يدور الحوار فيه بصورة واقعية تحاكي لغة الحياة اليومية "6.

إن تنوع أشكال الأدب في العصر الحديث إذن وتغير تعريف الأدب تبعا لذلك هو السبب في تغيير مفهومنا للّغة التي يكتب بها الأدب أو ما كنا نسميه "لغة الأدب".

ولا تختلف اللّغة المستعملة في النصوص الأدبية كثيرا عن لغة الحياة وإن كانت بعض الأنواع الأدبية تتطلب مستويات خاصة من اللغة خصوصا عندما يتعلق الأمر بالشعر. ففي هذا النوع بالتحديد تختلف الأبنية اللغوية لفظا وتركيبا ودلالة عن لغة الحياة العادية ليس فقط بسبب "النظم"و ليس بسبب "القافية"ولكن بسبب "التكثيف" الذي تتميز به لغة ذلك الفن الأدبي الخاص .

أما إذا تأملنا اللغة التي يكتب بها النثر الأدبي "بأوضاعها" 7المتعددة فإننا نجد أنفسنا أحيانا نواجه نصوصا تتضمن أوضاعا لغوية لا يمكن للقارئ البسيط أن يتعامل معها إذ يتعين عليه في هذه الحال أن يتوفر على قدر عال من المستوى اللّغوي .

أما فيما يتعلق بترجمة هذا النوع من النصوص فقد كثر الحديث عنها وتنوعت الآراء بين مؤيد ومعارض ولكن الكل يجمع على صعوبة هذه العملية.

ويرى محمد عوض:"أن أهم شرط ينبغي توفره في المترجم هو أن يكون هو نفسه أديبا راسخ القدم في التأليف الأدبي وأن يكون ملما أحسن الإلمام باللغتين لأنه مطالب بإحداث أثر أدبي يحاكي الأثر الذي يحدثه النص الأصلي"8.

أما (New Mark) نيومارك فهو يرى:" أن الترجمة الأدبية أو الفنية ،هي ترجمة رمزية ومجازية ،ذلك لأنها لا تكتفي بترجمة المعاني كما هي واردة في النص بل تتعداه إلى ترجمة الإيحاءات التي يتوجب

على المترجم أن يعيد التعبير عنها بطريقة فنية منمّقة آخذا بعين الاعتبار الوظيفة الأساسية لهذا النوع من النصوص وهي الوظيفة الجمالية "9.

ومن أهم الصعوبات التي يواجهها المترجم الأدبي ترجمة ما يسمى بالأنماط أو التراكيب البلاغية والتي يشار إليها باسم الحيل البلاغية.و تتضح هذه الصعوبات حين يعلم المرء أن اللّغات تختلف اختلافا واضحا؛ فاللّغة العربية مثلا من اللغات السامية في حين أن اللّغة الفرنسية من اللغات الهندأوروبية والتقابل بين اللّغتين يستوجب استجلاء أوجه التشابه والتباين بينهما.

ب ـ نص الوصول وسياقه الاجتماعي والثقافي

إن عملية الترجمة ليست مجرد عملية نقل متعلقة باللّغات بل هي عملية تبليغ تتعلّق أساسا بالمعنى مثلما يرى(Saint Gérôme) سان جيروم إذ يقول :"لا يترجم المترجم الكفء الكلمات فقط، وإنما يقوم بنقل الفكر المستتر وراءها ،ولذا فإنه يرجع دائما للسياق والمقام ".10

والمقام هو مجموع العناصر الخارجية عن اللّغة وتكون حاضرة في ذهن الأفراد وفي الواقع الخارجي حين التبليغ ويمكنها أن تقوم بدور يحدِد شكل العناصر اللغوية ووظيفتها فالمقام يتمثل إذا في:

ـ عامل المحيط والزمن لعملية التلفظ .

ـ العوامل النفسية، أي العلاقات التي تربط المتخاطبين(المكان والإطار والمتخاطبين) والتي يمكنها التأثير بالفعل في التصرفات اللّغوية سواء على مستوى الشكل أو الوظيفة.

أما السياق فيتكون من مجموع الوحدات المتقاربة، والتي بوجودها يتم تحديد شكل وحدة ما و وظيفتها ،ويمكننا أن نقول بأن اللسانيات تتكفل بدراسة السياق ، أما المقام فهو من اختصاص البرغماتية .

ويرى(Edmond Cary) إيدمون كاري بأن :" الترجمة هي العملية التي تهدف لإيجاد التكافؤ بين نصين ثم التعبير عنهما بلغتين مختلفتين ،ويكون هذا التكافؤ دائما وأبدا متوقفا على طبيعة النصين والمتلقين لهما ،والعلاقات الموجودة بين ثقافة الشعبين ،وكذا المناخ المعنوي والثقافي والحسي ،وهو متوقف أيضا على كل الحوادث الخاصة بزمان نص الانطلاق ونص الوصول ومكانهما ".11

وتتمثل صعوبة ترجمة النصوص المكتوبة بلغات متباعدة في العوامل الخارجية عن اللّغة والناجمة عن اختلاف الثقافات وهي المميزات الحضارية النوعية والأشكال الأدبية الخاصة.وهنا ينبغي على المترجم إيجاد الوسائل الكفيلة بالتعبير في لغته عن المعنى نفسه لكي يتمكن من إحداث الأثر نفسه في المتلقي الذي يحدثه نص الانطلاق.

ونظرا لتعقيد عملية الترجمة فقد أصبح من الضروري وضع معايير تتسم بالموضوعية لتقويم نص الوصول.ولذلك وضع (Champbelle) كامبيل ثلاثة معايير للترجمة الجيدة وهي :

- "ضرورة إعطاء المترجم صورة منصفة و عادلة لمعنى نص الانطلاق .

- ضرورة نقله لروح المؤلف و أسلوبه بأقصى ما يمكن، وبالشكل الذي ينسجم مع أصالة لغة نص الوصول

- ضرورة بذل مجهود بحيث تكتسب الترجمة القدرة الأصلية لتظهر طبيعية وسلسة."12

أما(Nida) نيدا فيرى أن هنالك ثلاثة معايير أساسية لتقويم جميع أعمال الترجمة وتكمن هذه المعايير فيما يلي :"

- القدرة العامة لعملية الإيصال، أي الحكم على أمانة الترجمة وقدرتها في ضوء الحد الأقصى على التلقي مقابل الحد الأدنى للجهد المبذول لفك الرموز اللغوية.

- استيعاب المحتوى ويأتي هذا المعيار ليغطي ما كان يقال تقليديا عن الأمانة والدقة والانضباط، بحيث يجب أن يكون ذلك من منظور نظرية الاتصال.

- تكافؤ الاستجابة الذي يكون موجها نحو ثقافة المصدر، أو ثقافة المتلقي.ويجب أن تكون استجابة المتلقي مطابقة لاستجابة المصدر رغم اختلاف سياقيهما الثقافيين، ويعتمد المعيار الذي يقتضي تشابه الاستجابات على المسافة الثقافية بين سياقي عملية الاتصال."13

أما خلال السنوات الأخيرة فقد ظهرت دراسة حديثة قام بها قسم اللسانيات بمكتب الترجمة للحكومة الكندية حيث وضعت المجموعة التي تدعى (Dical) أي (La division de la qualité linguistique) نموذج سيكال (Sical) لتقويم الترجمات بحيث " تتفق معايير نموذج سيكال مع معايير مكتب الأمم المتحدة للترجمة ،وتتمثل هذه المعايير في الترجمة التي يجب أن تكون أمينة للأصل ،كما ينبغي للترجمة الأمينة أن تحافظ على طريقة التعبير الأجنبية كلما كانت متفقة مع طريقة اللغة المنقول إليها في الأداء و التعبير مع البساطة والإيجاز والوضوح "14

وخلاصة القول أنه على الرغم من وجود كل هذه الدراسات إلا أنَ هذا المجال لا زال يفتقر إلى الدراسات العلمية التي من شأنها أن تبني النماذج النظرية الحديثة التي تستطيع أن تساير واقع الترجمة المعقد .

الهوامش

1 - البستاني(إدوارد)،مناهج الترجمة ، بيروت ،دار الطباعة والنشر الشرقية 1945،ص.4

2 - عن مجلة بابل،العدد 3-4 لسنة1978 .

3 - عن مجلة بابل، العدد 28، رقم 2 لسنة 1989.

4- Garnier(G) : Linguistique et Traduction, Paradigme, Caen1985,p21

5 -أبو زيد(فاروق)، فن الكتابة الصحفية ،القاهرة ،عالم الكتب ،1990 ،ص 179

6 - عناني (محمد)، الترجمة الأدبية بين النظرية و التطبيق، مصر، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة العالمية للنشر، 1977، ص 52.

7 - نقصد هنا بالأوضاع اللغوية ما يعرف في اللّغة الفرنسية بـles états de langue

8 - عوض (محمد)، فن الترجمة، مصر، دار المعارف، 1991، ص 65

9 - أنظرNew Mark (P) :Approches to Translation,GB xford,Pergamon press,1982

10- أنظر Saint Jérome, Cary (E),cites par Larose(R),in :Théories contemporaines de la traduction ,Canada, P.U du Québec, 1989

11- نفسه

12 - نيدا (يوجين) ،نحو علم الترجمة ، تر ماجد النجار ،العراق ،مطبوعات وزارة الإعلام ،1976، ص 21

13 - نيدا،المرجع السابق ،ص 203

14 - نيدا،المرجع السابق ، ص.352 .